واللي يهمنا من هذا كله ليس هو تاريخ اللغة او أصلها في حد ذاته بل هو ارتباط اللغة بالإنسان دون غيره من الكائنات العضوية الحية حتى تلك التي للإنسان صلة قوية بها كالقردة العليا. ثم ارتباط اللغة بالثقافة أو الحضارة على اعتبار أن الحضارة الإنسانية –التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات –لم تكن لتقوم لولا وجود اللغة التي تعتبر هي أيضا من أهم خصائص الأنسان بل وعاملا فاصلا في التمييز بينه وبين غيره من الكائنات، فاللغة اداة هامة من أدوات الحضارة وعامل أساسي في نشأتها واستمرارها وتطورها.

ولو اخدنا الحضارة – او الثقافة كما يفضل الانثروبولوجيون تسميتها – على انها هي حصيلة النشاط البشري خلال تاريخه الطويل، والتي تتمثل فيما انتجه عقل الانسان الخالق المبدع من فنون وآداب، والآلات وادوات وصناعات، واخلاق وعادات وقيم ، وفيما حققه من مهارات في كل هذه الميادين، لظهر لنا أن الخاصية الرئيسية التي تميز الحضارة في خاصية الاستمرار والقدرة على الانتقال من جيل لاخر، بحيث يأخذ كل جيل عمن سبقوه ويضيف الي ما أخذه منهم ثم ينقلها بعد ذلك للأجيال التي تاتي بعده، فخاصية التراكم الان هي التي تجعل هناك فارقا أساسيا بعن الحضارة الإنسانية ومختلف أنواع النشاط التي نصادفها عند الجماعات الحيوانية الأخرى، وأداة هذا التراكم هي – كما قلنا – اللغة، والذي يمنع الحيوانات والقردة العليا من أن تكون لها حضارة، هو في المحل الاول افتقارها إلى اللغة وبالتالي عدم وجود قدرة كلامية وفكرية تساعدها على مواصلة تجاربها وخبراتها، فما يكتسبه الفرد مثلا من (معرفة) في حل مشكلة ما يقال يظل خبرة استقرارية راكدة مقصورة عليه هو وحده، وقد يتذكرها حين يصادف نفسه ازاء مشكلة مشابهة او موقف مماثل، ولكنه في الفترات التي تتخلل ذلك لا يعكف على التعرف في تلك الخبرة او التجربة بقصد تحسينها او استخلاص اية نتائج منها للاستفادة منها في حل المشاكل الأخيرين مثلما يفعل الإنسان الذي يناقش في العادة

المشكلة عن طريق اللغة ويفكر فيها بعد انتهائها ليرى ما إذا كانت هناك تطبيقات اخرى ممكنة لتلك المعرفة. فعن طريق اللغة والتفكير تكون خيرات الأنسان وتجاربه مستمرة ومتصلة وهذا يساعد بالتالي على تطويرها وتنميتها، وقد سبق أن ذكرنا أن وجود اللغة يساعد الإنسان على أن يشارك الآخرين خبراتهم وأفكارهم مثلما ينقل اليهم هو خيراته وأفكاره، وذلك بعكس الحال عند القردة العليا التي تعجز عن نقل خبراتها بعضها لبعض، على الأقل بنفس الطريقة وعلى نفس المستوى من التفكير المجرد الذي نجده في الجماعات الإنسانية. ومن هنا كانت الميزة الكبرى التي يتميز بها الانسان وهي القدرة على نقل تلك الخبرات التي تؤلف في آخر الأمر التراث الحضاري او الثقافي من جيل آخر عبر الزمن[1]. فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار والنمو والقدرة على الانتقال، والأكثر من هذا كله فانها هي ذلك الجزء من الثقافة أو الحضارة الذي يساعد اكثر من غيره على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة في خبرات الآخرين، سواء الخبرات الماضية او الحالية، أي أنها العامل الأساسي في عملية التراكم ألتي هي أهم عصر في الحضارة الانسانية، وليس من شك في أنه في الوقت الذي بدأ الانسان في اختراع ابسط الأدوات والآلات نتيجة لتطور مهاراته اليدوية بدأ يدرك العلاقة بين الأشياء ويصنفها ويرى وسائل تغييرها، كما كانت عنده الوسيلة لنقل هذه الأفكار الجديدة لغيره واشراكهم فيها وهذه الوسيلة هي اللغة. فانتقال الخبرات التي تؤلف التراث الحضاري هو عملية شعورية ومتعددة بل وهادفة، كما أن أي نشاط يقوم به الإنسان لا بد من أن يكون عنده ما يقابله مي تصورات وافكار والفاظ تكفي للتعبير عنه. وكما يقول ريتش كولدر (Ritchie Calder) في ذلك (أن صانع الآلات هو في الوقت ذاته صانع كلمات) وهذا يصدق على الماضي مثلما يصدق على الحاضر. فالطور الثقافي البطيء الذي تم في العصر الحجري القديم (

---

[1] Hoijer, in Shapiro, op. cit., pp. 197–98, Id, "The Relation of Language to Culture" in Krober (ed.): Anthropology Today, Chicago U.P. 1953, p. 556.

الباليوليثي) الآدنى مثلا كان مرتبطا بالتأكيد بلغة اولية بسيطة تلائم الصناعات الحجرية الفجة البسيطة التي كان الانسان يقوم بصنعها، مثل فأس اليد الحجرية التي كانت تستخدمها الجماعات الصغيرة المتناثرة التي يرتبط وجودها بتلك الحقبة التاريخية والحضارية، فلما كبرت الجماعات الإنسانية في العدد احتاج الامر الى تحسين الأدوات والآلات وتهذيبها مثلما احتاج الى ظهور لغة اكثر تعقدا من حيث مفرداتها والثورات والأفكار التي تعبر عنها هذه المفردات، حتى يمكن عن طريقها تبادل الخبرات والمهارات اللازمة في انتاج وصنع أدوات أكثر تقدما، وهكذا وليس من شك ايضا في أن تقدم الفنون عند الإنسان المبكر ثم عند الإنسان الحديث أو الانسان العاقل بعد ذلك كان نتيجة تتطور اللغة أو الألفاظ. او الكلمات اتي يمكن بواسطتها شرح الأمور وتعليمها للآخرين[٢].

[2] Calder, R.; After the Seventh Day: The World Men Created: Mentor Books, N.Y. 192, pp. 49-52 childe, op, cit., p.29.